

للأساتذة الجامعيين والباحثين بالمطالعة داخل القاعة في سائر أوقات أيام العمل بعد ملئهم لمطبوع تسجل فيه المعلومات المطلوبة.

ب - النسخ :

يسمح للمستفيدين من الخزانة بنقل ما شاءوا من مخطوط أو مطبوع داخل الخزانة.

ج - التصوير :

يرخص في تصوير الكتاب المطبوع إما برمته أو بفصول منه بعد تقديم طلب كتابي لمحافظ الخزانة والحصول على الإذن بالتصوير، أما الكتاب المخطوط، فلا يرخص في تصويره إلا بإذن كتابي من السيد وزير الشؤون الثقافية. وإذا كان التصوير خارج الخزانة، فيرافق طالب الإذن بالتصوير إلى مكان التصوير مسؤول من الخزانة.

د - الإعارة :

لا يسمح بتاتا لطالب أو غيره، بإعارة كتاب من الخزانة كان الكتاب مخطوطا أو مطبوعا، لأن الإعارة كثيرا ما تعرض الكتاب للتلف ولاسيما إذا كان المعير عديم الضمير، ويستثنى من ذلك كتب القصص المطبوعة، فإنه يرخص للطلبة في إعارتها لمدة محدودة.

هذا باختصار ملخص للمحاور التي تضمنها هذا العرض، والأمل معقود على أن تتوجه العناية إلى مخطوطات هذه الخزانة بالإصلاح، لأن جلها قد تلاشى، وأتلفت المهم من أوراقه الأربعة ولاسيما الخروم التي توجد داخل صناديق مغلقة، والتي لم يوظف لها من ذوي الخبرة من يتعهدا ويستخرج ما يمكن أن يكون بداخلها من كنوز. كما أطلب بالبحر بنقل مكان الخزانة الضيق إلى مكان آخر يتناسب ومتطلبات العصر، ويجعل المستفيد أثناء وجوده بالخزانة يشعر براحة بال وهناء ضمير. وما ذلك على همة وزارة الشؤون الثقافية، ومن يتطوع لتمويل مكان صالح للخزانة من ذوي الأريحية واليسار ببعيد.

وضعية المخطوطات العربية في المكتبة البريطانية بلندن

الأستاذ ياسين حامد صفدي

قسم المخطوطات والمطبوعات الشرقية
بالمكتبة الوطنية البريطانية - لندن

لا يتيح لنا المجال هنا إلا أن نعطي لمحة تاريخية عن نشأة المكتبة البريطانية بلندن التي تعتبر المكتبة الوطنية لبريطانيا العظمى، وعن محتوياتها من المخطوطات العربية.

ترجع نشأة المكتبة البريطانية من حيث مادتها ومجموعاتها إلى فترة تكوين المتحف البريطاني في أواسط القرن الثامن عشر. وبقيت مسؤولية المجموعات الشرقية فيها تحت إدارة قسم المخطوطات الغربية الأوروبية العام، إلى أن حدثت تطورات إدارية في أوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر، أدت إلى تكوين قسم خاص للمخطوطات الشرقية والتي كانت تشمل مجموعة المخطوطات والكتب العربية. ومع أن ما تسمى منها المجموعات التأسيسية والتي يرجع تاريخها إلى فترة تأسيس المتحف البريطاني، كانت تحتوي على مادة عربية مخطوطة فإن تلك المادة كانت ضئيلة ولا تتعدى المائتين، إلى أن اشترى المتحف البريطاني معظم مكتبة جيمز كلوديوس ريتش (James Claudius Rich) الذي كان الممثل الدائم لشركة الهند الشرقية في بغداد والذي توفي سنة 1821. وكانت لهفته الكبرى أن يجمع بين يديه ما أمكنه من المخطوطات العربية والفارسية والتركية والسريانية الخ... وكان يحسنها وخاصة العربية.

وعرف عنه أنه صرف معظم ما كان عنده من المال مع الكثير من الجهد والعناء من أجل الحصول على هذه المخطوطات، وتم شراء مكتبته هذه في سنة 1825، ومن بينها حوالي أربعمئة مخطوطة عربية نفيسة، ومنذ ذلك الحين أخذت مجموعة

إخراج الفهرس الأول المفصل للمخطوطات العربية وهو باللاتينية، تحت عنوان :

Catalogus codicum manuseriptorum orientalium codias arabicos

طبع في لندن في جزأين، الأول منهما سنة 1846 والثاني سنة 1856، ثم اجتهد ريو في التنقيح والزيادة لمادة هذا الفهرس، وأتم عمله فيه حيث تمكن من إعادة طبعه سنة 1871، وكان عدد مادته من المخطوطات حوالي الألفين. وتابع ريو جهوده المشكورة في خدمة المخطوطات العربية ليس فقط في نطاق اقتناء المادة العربية المخطوطة، بل في فهرستها على وجه من التفصيل والتقييم، ووضع فهرسا دليلا جديدا لما اقتناه المتحف البريطاني حتى أواخر القرن التاسع. ونُشر هذا الفهرس الثاني للمخطوطات العربية سنة 1894 تحت عنوان :

Supplement to the catalogue of the arabic manuscripts in the british museum. London, 1894.

ومادة هذا الدليل تزيد على 1 500 مخطوطة عربية دقق في وصفها والتعليق عليها فيما يقارب ألف صفحة. وكلا الفهرسين يحتوي على إدخال مفصلة لكل مخطوط، ومرتبته تحت رؤوس المواضيع المختلفة، ولها فهرس كشافية للأعلام والعناوين وأرقام المخطوطات الخ.

وأتم السيدان إليس وإدواردز (Ellis and Edwards) وضع قائمة للمخطوطات العربية التي اقتناها المتحف البريطاني لغاية 1912، وعنوانها :

Descriptive list of the arabic manuscripts acquired by the trustees of the british museum since 1884. London, 1912.

وعدد المخطوطات المدرجة فيها حوالي تسعمائة مخطوط عربي.

ووضع الأستاذ سامي حمارنة فهرسا خاصا بالمخطوطات العربية في الطب والصيدلة المحفوظة في المكتبة البريطانية، وذلك تحت عنوان :

Catalogue of arabic manuscripts on medicine and pharmacy at the british library. Cairo, 1975.

أما سجلات الفهرسة للمخطوطات المكتتاة ما بعد سنة 1912 فهي على شكل بطاقات زرقاء، وهذه ما أقوم حاليا بتحقيقها وضبط فهرستها وتفصيلها استعدادا لوضع فهرس شامل على الحاسب الآلي (الكومبيوتر) لجميع مادة المخطوطات العربية لدينا.

وكما تعرفون فإن الحكومة البريطانية قررت سنة 1973 أن تنشئ مكتبة وطنية

المخطوطات العربية تتطور وتزايد باستمرار عن طريق الإهداء والإقتناء الفردي وعن طريق شراء مكتبات كبار المستشرقين ومجموعات الحاويين، ومن أهمها مجموعة كبيرة ومهمة لأحد الأرسقراطيين البريطانيين الكبار توماس هوارد (Thomas Howard) صاحب اللقب (Earl of Arundel) التي تم اقتناؤها من طرف المتحف سنة 1830. ثم تلا ذلك أن اقتنى المتحف البريطاني سنة 1834 مجموعة وليام براون هودجسون (William Brown Hodgson) ومن بينها مئتان وأربعة وعشرون مخطوطة عربية. ثم تبع ذلك اقتناء مجموعة وليام يول (William Yule) التي احتوت على خمس وأربعين مخطوطة عربية، ومجموعة ستير نشوس (P.H. Sternschuss) وفيها أربع وأربعون مخطوطة عربية، ومجموعة وليام باركر (William B. Barker) سنة 1853 ومنها خمس وعشرون مخطوطة عربية، ومجموعة روبرت تيلر (Robert Taylor) الذي تولى منصب جيمز ريتش بعد وفاة هذا، ومنها مئتان وست وأربعون مخطوطة، ومجموعة هنري راينهارت (Henry C. Reichardt) وفيها أربع وسبعون مخطوطة عربية، ومجموعة جورج وليام هاميلتون (George William Hamilton) وفيها سبع وستون مخطوطة عربية، ومجموعة اليكساندر جابا (Alexandre Jaba)، ومن بينها ثمان وثلاثون مخطوطة عربية ومجموعة السير تشارلز موري (Charles Murray) التي احتوت على خمس وأربعين مخطوطة عربية وقبطية، ومجموعة السيد هنري كريسيوك رولونسون (Sir Henry Greswicke Roulinson) ومن بينها مائة وثمان وتسعون مخطوطة عربية، ومجموعة إدوارد كليزر (Edward Glaser) ومنها ثلاثمائة وثمان وعشرون مخطوطة عربية، ثم مجموعة إدوارد وليام لين (Edward William Lane) صاحب القاموس المشهور، ومن بينها خمس وستون مخطوطة عربية، ومجموعة مايلز (S.B. Miles) التي احتوت على خمسين مخطوطة عربية نادرة عن جنوب الجزيرة العربية.

واستمر الإقتناء والإهداء بصورة أضعف طيلة الفترة ما بين أواخر القرن التاسع عشر وأوائل الثمانينات من هذا القرن، حيث قل الإهداء وقارب الإقتناء أن ينعدم لقلّة الميزانية المرصودة لهذا الغرض.

وكان أول مدير لقسم المخطوطات الشرقية واحدا من كبار المستشرقين البريطانيين (Charles Rieu 1820 — 1902) تشارلز ريو. وكان ريو من المتخصصين البارزين في العربية والفارسية والتركية وغيرها، وخدم في المتحف البريطاني أكثر من نصف قرن من الزمن. وساهم مع كيورتون (W. Cureton) في

وذلك بدمج عدد من المكتبات الكبيرة الرئيسية والإقليمية إلى مكتبة المتحف البريطاني المشهورة، وأطلق عليها اسم المكتبة البريطانية British library، وتقوم الحكومة الآن بإنشاء مركز لها في بناء ضخم جدا في لندن، ومن المتوقع أن تكتمل المرحلة الأولى منه في سنة 1992، وسيستمر بناؤه وتجهيز قطاعاته وأقسامه إلى مطلع القرن الحادي والعشرين.

وقد نتج عن هذا التجمع المكتبي أن انضمت مؤخرا مكتبة الهند وأقسام الوثائق التابعة لها، وكلها واقعة في لندن، إلى المكتبة البريطانية، فزاد بذلك رصيدنا من المادة العربية المخطوطة والمطبوعة بما في ذلك الوثائق العربية المهمة. ولا مجال لذكر تفاصيل هذه هنا ولكننا نرشد القارئ الكريم أن يرجع إلى النشرات والكتب التي طبعت والتي تحتوي على تفاصيل المادة العربية وفهارسها وخاصة الدليل الذي نشر مؤخرا تحت عنوان :

Arabic language collections in the british library. London, 1984.

وقد بلغ عدد المادة العربية المخطوطة في مجموعتنا ما يزيد على إثني عشر ألف قطعة من الوثائق والكتب العربية المخطوطة بالإضافة إلى أكثر من أربعين ألف كتاب مطبوع.

وتتضمن المجموعات المخطوطة خاصة روائع تعكس الكمال الفني الراقي الذي توصل إليه الفن العربي والإسلامي في الخط، والزخرفة الشكلية، والزينة الملونة والذهبية، والتصوير، والرسم العلمي، والمعماري، والنباتي، والحيواني، والإنساني، ومن بينها أيضا مخطوطات نفيسة ونادرة، أو لها أهمية فائقة، أو عمق زمني يعطيها امتيازًا خاصًا.

وللأسف لا يسمح لنا مجال هذه الندوة والوقت المحدد لهذا الحديث أن نذكر هذه الروائع والنفائس والنوادر بالتفصيل، ولكن قد يتيسر أن نلمح تلميحا سريعا لإعطاءكم فكرة عامة.

فمثلا من بين مجموعة المصاحف الشريفة لدينا :

— مصحف بالخط المائل الحجازي على الرق من أوائل القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، ويعتبر هذا المصحف من أقدم المصاحف في العالم.

— مصحف بالخط الكوفي الشرقي المزين بكثافة على الطراز القرمطي، من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي.

— مصحف أيضا بالخط الكوفي الشرقي من السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي.

— مصحف بالخط المغربي على الرق، من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي.

— مصحف بالخط الأندلسي الدقيق مع الكوفي الغربي الزخرفي، ولهذه المخطوطة نظيرة في القاهرة وأخرى في استنبول من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي. ولعل ما عندنا أقدم منهما بقليل من الزمن.

— هناك أجزاء من مصحف نادر بالخط المغربي الأندلسي الكبير من أسلوب غرناطة، من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي.

— مصحف بخط النسخ الدقيق مؤرخ سنة 427هـ/ 1036 في غاية من الأهمية.

— مصحف كامل من أندر وأروع المصاحف المملوكة في العالم في سبعة أجزاء من الحجم الكبير يمتاز بعدد من الصفحات والميزات الفريدة فهو المصحف الفريد مديد خطاط عصره ابن الوحيد ومن زينة أيرغدي عبد الله البدري المشهور والمصحف الوحيد للسلطان بيبرس والفريد من نوعه بالثلث المذهب الزخرفي ؛ مؤرخ سنة 704هـ/ 1304م.

— مصحف مملوكي رائع الزينة من الحجم الصغير بالخط الريحاني، وقفه السلطان فرج بن برقوق، في القرن السابع الهجري/ الرابع عشر الميلادي، وهو نموذج جميل جدا يبين مدى رقي فن إخراج المصاحف في عهد المماليك.

— كذلك من المصاحف النادرة جدا مصحف بخط المحقق الذهبي عمل بأمر السلطان الإلخاني أولحايتو في الموصل سنة 710هـ/ 1310م، ذو زينة فاخرة جدا ويوجد له نظير عدا ما في متحف الفن الإسلامي في استانبول.

— مصاحف أخرى مهمة كثيرة أدنى من هذا المستوى الرفيع بقليل، ولكن لا مجال لذكرها.

— ويجب أن نذكر بشكل خاص مصحف مغربي فاخر عمل بيد أبي حفص عمر المرتضى أمير مراكش، له مزية فريدة إذ يعتبر غلافه المذهب أبكر نموذج يعرف في العالم عن استعمال الزينة الذهبية على الجلود وتثبيتها بالمكواة. وهذه سابقة مهمة في فن التسفير عند العرب. وقد تم عمله في مراكش سنة 254هـ/ 1256م.

يمكن للقارئ الرجوع لتفاصيل ما ذكرناه أعلاه من المصاحف الرائعة والنادرة، إلى كتاب نشرناه بالإشتراك مع الزميل المسلم الصالح مارتن لينكز (الحاج أبي بكل سراج الدين) وذلك تحت عنوان :

The qur'an : Catalogue of an exhibition of qur'an manuscripts at the british library.

ولدينا عدد من المخطوطات المهمة المبكرة في التفسير وعلوم القرآن والحديث وفي الصوفية والمذاهب والفقه والأدب والفلسفة وعلوم اللغة والتاريخ والجغرافيا والطب والرياضيات والفلك وعلوم الطبيعة الخ. وجاء ذكره باختصار في الدليل المختصر للمجموعات العربية في المكتبة البريطانية الذي سبق ذكره.

ولا يتيسر لنا في هذا المجال إلا أن نذكر البعض منها باختصار لنعطي لمحة عن أهميتها وتنوعها وهي تغطي معظم فروع المعرفة الإسلامية.

فمن بينها مخطوطات قيمة بأيدي مؤلفيها من أمثال ابن خلكان وابن عساكر وابن حجر العسقلاني وابن حبيب وياقوت المستعصمي وابن البواب والذهبي والكتبي وغيرهم.

ومن المخطوطات النادرة جدا أو الفريدة :

— معرفة علوم الحديث للنيسابوري، ورياض الصالحين للغزالي، والمخيط لإسماعيل ابن عباد، وشرح ابن الجني على ديوان المتنبي.

— ومن المخطوطات المبكرة جدا أو من عهد مؤلفيها نذكر عن طريق المثال :

* الخطيب النباتية لابن نباتة الخطيب.

* كتاب الألفاظ لابن السكيت.

* كتاب الحماسة لأبي تمام.

* الصحاح في اللغة للجوهري.

* مقامات الحريري.

* شرح الطوسي على الإشارات لابن سينا.

* شرح هارون بن موسى على كتاب سيبويه.

* كتاب إيجاز التعريف لابن مالك.

— ومن نفائس المخطوطات المصورة التي تعكس أوجه الكمال الفني للكتاب العربي :

* مقامات الحريري.

* نعت الحيوان لبختشوع.

* عجائب المخلوقات للقزويني.

* صور الكواكب الثابتة للصوفي.

* كتاب الكانية وهو بخط ياقوت المستعصمي.

* نهاية السؤال والأمنية في علم الفروسية لعيسى بن إسماعيل الحنفي وغيرها.

ويجدر بي أن أقول كلمة مختصرة في بعض الخدمات المتعلقة في خدمة وصيانة ما عندنا من التراث العربي وخاصة ما يتوفر لدينا منه. فلدينا طاقم كبير وكامل بتقديم جميع الخدمات الفوتوغرافية وقد أحضرت ووزعت نشرة تبين تفاصيل ذلك كله.

كما أنه عندنا ومنذ زمن طويل نظام فني مهم لم يتوفر بعد بكمال في عدد من بلدان العالم العربي والإسلامي، ويكفل لنا هذا النظام الفتي إمكانيات الحفظ والترميم والصيانة لجميع ما عندنا من مادة أثرية وتراثية على مستوى عال جدا وبكلفة عالية أيضا. فعن طريق المثال تمكنت مؤخرا أن أنقد مصحفا جميلا اشتريناه بثمان زهيد وعملنا عليه سبعة أشهر في جمعه وترميمه وضمه وتسفيره إلخ... إلى أن أعدناه إلى حالة مرضية. ومخطوطة أخرى اشتريناه في المزاد العلني بلندن، رخيصة نسبيا بسبب حالتها التي يرث لها لكنها تعتبر في رأيي حلقة مفقودة في تطور الفن العربي غزيرة الزينة والرسومات، وهي مخطوطة عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني.

فقد خصصنا لها من كبار خبرائنا في الترميم من عمل عليها لمدة سنة كاملة تحت إشرافي الخاص. كما أتمنا عملية ماثلة لمخطوطة مقامات الحريري الرفيعة الفن الراقية الخط والتي تعد الثانية في القدم والأهمية وعملنا في ترميمها وإصلاحها لمدة سنة أيضا. وأخطط الآن لعملية ماثلة للمخطوط الرائع والنادر : «نعت الحيوان ومنافعه» لبختشوع، ويعتبر هذا من أهم المخطوطات المصورة في توثيق مظاهر الفن العربي والإسلامي. ونقوم عادة بانتظام بالكشف عن حالة هذه المخطوطات وفرز ما يلزمه صيانة وترميما ورعاية خاصة.

ونختم كلمتنا هذه في أن نقول إنه لنا نشاطات مرموقة في مجال هذا التراث الذي في عهدتنا، ونبذل أقصى جهدنا في خدمته وتزويده وصيانته والتعريف به وتشجيع ومساعدة الباحثين للتوصل إليه والعمل عليه، من جميع أنحاء العالم.